



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

الإسلام الموازي في تركيا

البكتاشية وجدل التأسيس

الكتاب 113 مايو (أيار) 2016

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

ظهور البكتاشية والإشراف على الإنكشارية

أحمد يونم (Ahmet Yönm) *

في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، دفع المغول بعدد كبير من القبائل التركمانية إلى الأناضول، فغيروا تركيبته السكانية والدينية. حيث مثل الدراويش الغزاة أوائل الفاتحين لتلك المدن والقرى. فمهدوا السبيل للدولة العثمانية في عهد سطوة زعماء العشائر المحليين، كما كانت لهم علاقة جيدة بالسلاجقة، وهم يعتبرون المهد لأسلمة البلقان، والأناضول، على الرغم من أنهم هراطقة لا يصلون ولا يصومون... ومع ذلك فأثرهم لا يُنكر.

(*) رئيس قسم المذاهب الإسلامية في كلية الإلهيات في جامعة (Çanakkale Onsekiz Mart) (تركيا).

في بداية عصر الدولة العثمانية، كانت العلاقة شأناً خاصاً بين عثمان بك والحاج بكتاش ولي. بعد ذلك تطورت لتصبح شأناً عاماً بين الدولة العثمانية والطريقة البكتاشية، فوقف العثمانيون الأراضي لإسكان الدراويش، بغرض العمل على تترك وأسلمة البقاع التي استوطنوها، حيث تمكنت الثقافة التركية والعادات والتقاليد والإسلام في الأناضول من السيادة على الثقافة البيزنطية المحلية، عن طريق هؤلاء الدراويش.

الآخيات في الأناضول توزعت على نطاق واسع، وعندما انتشرت الطريقة البكتاشية ذابت فيها هذه الآخيات على نحو تام، وذلك لأن أخي أوران والحاج بكتاش تعاصرا. وقد صرف الحاج بكتاش عنايته إلى آخيات النساء. بعدها جرى بين عثمان بك والشيخ أبيه دالي مصاهرة، ومن ثم كان التأثير متبادلاً في زمن السلطان سليم الأول (ت 1550)، وحين وقعت مشكلة القزلباش في نهاية الأمر، جراء النزاع مع الصفويين، دعمت بعض التشكيلات الأخية القزلباش فاختلفوا معاً في سلك واحد.

في بداية الأمر، ازدهرت الطريقة البكتاشية في محيط سني. واهتم العثمانيون بالحاج بكتاش وبالطريقة البكتاشية. وقد احترم البكتاشيون -من جهتهم- الدولة العثمانية. وبمرور الوقت لم يعد من الممكن أن يدوم هذا الحال؛ لأن بالم سلطان وسائر الحروفية والملاحدة والزنادقة أثروا على عقائد تلك الطريقة، فأبعدها عن طريق أهل السنة. ومن ثم قادوا الطريقة إلى الاصطدام بالدولة في نهاية الأمر. وعلى الرغم من ذلك يذكر للبكتاشية ذلك الأثر الكبير وغير المنكر في أسلمة الأناضول.

تأسيس البكتاشية

من المعروف أن البكتاشية قد استمدت مبادئها من مذهب الشيخ أحمد اليسوي، الذي انتشر في الأناضول؛ وهو متصوف قلندري/ قيادري، ومن هذا النبع أخذت الطريقة البكتاشية عن طريق أحد مريديه وهو الحاج بكتاش. أثرت البكتاشية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في أسلمة الأناضول، ففي عهد السلاجقة هاجر بعض الأتراك من بين قبائل الأغوز والتركمان إلى الأناضول، وبعد تأسيس دولة سلاجقة الروم في عهد علاء الدين كيقباز ظهرت المبادئ الشيعية

في عهد هذا الحاكم. هذه الأفكار وجدت قبولاً بين الناس في زمن غياث الدين الثاني كيخسرو. ومن ثم وقعت الثورة البابائية سنة 1237م. ينتمي زعيم تلك الثورة، بابا إسحاق، إلى الطريقة الوفائية. وتعد أبرز معالم تلك الطريقة أن بعض التركمان الشامانيين حاولوا مزج التقاليد الشامانية بالإسلام. وعند ظهور الحركة البابائية سياسياً في هذا الوقت، دخل الحاج بكتاش ولي الأناضول. وانتشرت طريقته على أيدي أتباعه من بعد، وبعض زعماء العشائر المحليين انتسبوا إليه. وفي عهد القرمانيين تم منع اللغة الفارسية، وأجبر الناس على الحديث والكتابة باللغة التركية؛ وهذا الإجبار أثر كثيراً في الحد من انتشار أفكار الباطنية. فقد وجدت تلك الأفكار صعوبة في التأثير على عامة الناس.

طبقاً لكتاب ولايتنامه، الذي يعتقد العلويون والبكتاشية، أن جذور العلاقة بين الدولة والطريقة البكتاشية تعود إلى روايته: فقد أعقب موت أرطغرل بك أن تولى جندوز بك مسألة تعيين الحدود بين الدولة السلجوقية والبيزنطيين. وعقدت معاهدة لترسيم تلك الحدود، ولما لم يقبل عثمان بك بهذه الاتفاقية، شكا البيزنطيون عثمان بك إلى السلطان السلجوقي، وهددوه بالحرب إذا لم يوقف عثمان بك عند حده. أراد في عهد علاء الدين كيقيباذ الثالث أن يأخذ عثمان بك إلى قونيا، لكن المعين على هذا التوقيف ذهب إلى سوغوت (القريبة من بورصة)، وهناك رأوا شجاعة وجسارة عثمان بك، فأعجبوا به وقالوا: لا ينبغي أن يعاقب عثمان بك. هنا قرر السلطان السلجوقي أن يذهب عثمان بك إلى الحاج ليحتكموا عنده، ويقرر الحاج بكتاش مصيره.

وصل عثمان بك إلى الحاج بكتاش، وأمر الحاج بإطلاقه قائلاً: أنا أنتظر مثله منذ سنوات، وأخذ التاج من الصندوق وألبسه لعثمان بك، ثم أمر السلاجقة بإعطاء زعامة قبيلة قايي وعزل جندوز بك عنها. إبان زعامة عثمان بك لقبيلة قايي. هناك عدد كبير من الروايات المختلفة والمتباينة إلى حد كبير، كانت هذه الرواية البكتاشية إحداها. لا يمكننا الحكم على دقة هذه الرواية التي لم ترد إلا في المصادر البكتاشية، ولم يتم تأكيدها عبر مصدر مستقل، كما أن هذه الرواية لا تتمتع بتأييد كبير من غالبية الباحثين. من بين تلك الروايات ثم رواية تقول: إن زوجة أبي عثمان

بك عاشت مع الحاج بكتاش ولي، الذي كان في الوقت نفسه من دراويش الوفائية، وتحديداً من مريدي بابا إلياس. في هذا الوقت كان للأخيات نفوذ كبير في أوساط الناس، وعلى الأخص الطريقة البكتاشية والبابائية. وقد تزوج عثمان بك بنت الشيخ أده بالي «بالاه خاتون» ومن ثم استطاع عثمان بك عن طريق تلك المصاهرة تأمين وضعه بالسيطرة على الأخيات وجعلها تابعة له.

نتيجة تلك المصاهرة دخل شيوخ الأخيات تحت رئاسة العثمانيين، ومن ثم يمكن أن يكون هذا قد لعب دوراً كبيراً في تأسيس الإمارة وتطورها بعد عثمان بك إلى دولة في زمن أورخان بك. فالدولة الوليدة في حاجة إلى العسكر. وأورخان بك أسس تشكيلات الإنكشارية، هذه الرواية ليست متوافقة مع المصادر التاريخية المعاصرة في بداية العصر العثماني، وليس هناك شيء قطعي يمكن الركون إليه.

النظرية التاريخية لدى البكتاشية في زمن التأسيس للدولة العثمانية تتمثل في تلك العلاقة بين الدولة والبكتاشية. فالقدماء من البكتاشيين الدراويش والأبدال جاؤوا مع عشائر التركمان إلى الأناضول من آسيا الوسطى، وبسبب نزعة الدراويش الجهادية منذ زمن السلاجقة، التي تركت أثراً عميقاً في الأفكار المؤسسة للدولة العثمانية، أصبح الأناضول وطناً للإسلام والأترك.

هؤلاء الدراويش المقتحمون، الذين تقدموا الصفوف، سكنوا بعض الزوايا والتكايا، التي أصبحت محط استقرار القبائل المهاجرة، لأن الأوقاف وقفت على التكية والزوايا فأصبحت ملجأ للسكنى وعامرة بالحياة الاجتماعية، ومنها خرج المتصوفة مثل المولوية والقادرية والقلندرية واليسوية، فانتشرت في الأناضول بعد سقوط الدولة السلجوقية، مع تلك التشكيلات الأخية التي ظلت فعاليتها في الأناضول في فترة مضطربة من تاريخه، وسادت في المدن والقرى، حيث يعيش المسلمون من أهل السنة، ولكن لم يؤثروا في بنية الإسلام السنية التسليم، على الرغم من أن تلك التيارات التي جاءت من آسيا الوسطى، الرعاة الرحل، حملت معها إسلاماً يوصف بأنه هرطوقياً أسهم في ميل السكان الأصليين إلى الإسلام⁽¹⁾.

(1) Köprülü, Osmanlı Devletinin Kuruluşu, Türk tarih Kurumu Yayınları, Ankara, 1991, s.78-79.

في الفترة من القرن الثالث عشر إلى السادس عشر، كان (الأبدال) وال دراويش في الأناضول قد مثلوا الدعاة إلى الإسلام، فقد انتشروا بين القبائل ناشرين إسلامهم ذا العلاقة مع القلندرية والبابائية، وقد أسسوا مراكز جديدة للسكنى في وسط الأناضول، تحديداً في مرمرة مثل: أذنة، يالوفا، إزمت، أسكي، شهر، بورصة. كل هذه البقاع أسسها هؤلاء الدراويش والأبدال.

بعض الدراويش مثل صلاح الدين البخاري، قراجا أحمد، براق بابا، جاكلي بابا (عبدالله)، أبدال موسى، أبدال مراد، لعبوا دوراً مهماً في هذا التغيير⁽²⁾. يسمى عمر لطفي برقان (Ömer Lütfi Barkan) هؤلاء الدراويش بـ«المستعمرين الثقافيين»، لأنهم غيروا أوجه الحياة الاجتماعية والثقافية في الأماكن التي استقروا فيها جذرياً. فقد قاموا بعد فتحهم تلك الأماكن واستقرارهم فيها بتأسيس ثقافة جديدة، ومن ثم وضعوا اللبنة الأولى التي سهلت عملية التتريك والأسلمة فيما بعد⁽³⁾.

يحكي عاشق باشا زاده عن الفرق الأربع في تأسيس الدولة العثمانية، وهي: «غازيان الروم»، «آخيان الروم»، «أبدلان الروم»، وأخيراً تلك الأخية النسوية في بلاد الروم، والتي أطلق عليها «باجيان الروم». فقد جاء الدراويش الدعاة أولاً. ثم أعقبتهم تلك التشكيلات السابقة، ومن ثم تسهل عمل البكويات العثمانية والإمارات الأخرى، التي مالت كلها إلى الأبدال الرومية، فسادت بينهم علاقة وثيقة⁽⁴⁾. ويرى المؤرخ التركي محمد فؤاد كوبرلي (Mehmet Fuat Köprülü) أن هؤلاء الأبدال جاؤوا من خراسان، وقاتلوا البيزنطيين بسيف من خشب⁽⁵⁾. وقد كانوا تحت حماية الدولة العثمانية تماماً كالبابائية والقلندرية والحيدرية⁽⁶⁾. وبعد القرن الخامس عشر مالوا كلية إلى الطريقة البكتاشية، وأخيراً انتهى أمرهم إلى الذوبان فيها على نحو تام.

(2) Zafer, Erginli, Osmanlı Devleti'nin Kuruluşunda Türk Dervişlerinin İzleri, Türkler Ansiklopedisi, Cilt 9, Yeni Türkiye Yayınları, Ankara, 2002, s.196.

(3) Ömer, Lütfi Barkan, İstila Devirlerinin Kolonizator Türk Dervişleri, Vakıflar Dergisi, s. II, Ankara, 1942, sf. 279-304.

(4) Aşıkpaşazade, Osman oğulları Tarihi, K Kitaplığı Yayınları, 1. Baskı, İstanbul, 2003, s.298.

(5) Köprülü, Osmanlı..., s.94.

(6) Köprülü, Osmanlı..., 100-101.

في هذه النقطة يجب علينا أن نلقي الضوء على (التشكيلات الأخية) ممثلة في الشيخ أده بالي، والعلاقات بين العثمانيين والبكتاشيين. تلك التشكيلات الأخية انتشرت في الأناضول سريعاً، ولا سيما القرى والأماكن القاصية من الدولة في القرن الثالث عشر، وكان لهم نصيب في تأسيس الدولة العثمانية من جهة الدين والاجتماع في الأناضول. وفي القرن الرابع عشر، وتحديداً في زمن أورخان بك، زار الرحالة المشهور ابن بطوطة الأناضول، ورأى هناك تلك التشكيلات الأخية المؤسسة في كل مدينة وقرية على الزراعة والصناعة. كما أكد علاقتهم بالتصوف والصناعة والزراعة، حتى إنه ينص على مكان الزاوية الأخية⁽⁷⁾.

تلك التشكيلات الأخية امتدت لتشتمل أماكن واسعة ومدن مختلفة. على سبيل المثال، يسمى الآخي: الأستاذ الشيخ الكبير والمحترم وصاحب الأخلاق والصدق، وهذا الشخص هو رئيس التشكيل الآخي موجود على منصب الصناعة مثل الشيخ. ويساعده اثنان، ويسمى آخي بابا وهو رئيس جميع الآخيات. الشيخ آخي بابا من شيوخ تكية آخي أوران، وهم كلهم مرتبطون بتكيته الشيخ أده بالي، وهو عالم كبير ومتصوف من شيوخ الأخية، وثم علاقة بينه وبين العثمانيين، إذ زوج ابنته إلى عثمان غازي. حيث يروي عاشق باشا زاده أن عثمان بك رأى في المنام الشيخ أده بالي يخرج من صدره الهلال، ووقع في يده، أي عثمان بك. وكان بذرة شجرة خرجت من بطنه وظللت الدنيا⁽⁸⁾. ولما حكى عثمان منامه للشيخ أده بالي ليفسره له، بشره الأخير بسلطة كبيرة، ثم زوج ابنته لعثمان غازي⁽⁹⁾. ومن ثم فقد كسب عثمان بك دعم تشكيلات الأخية بفضل تلك المصاهرة. وتكرست تلك العلاقة بين الدولة والجماعات الصوفية.

هذه نقطة محورية في العلاقة التي ربطت بين البكتاشية والآخيات. ففي «ولايتهامه» يروي أن الحاج بكتاش ولي تحدث كثيراً عن علاقته بأخي أوران مؤسس التشكيلات «الأخية». ومع ذلك ترى إيرينا ميليكوف (Irene Melikoff) في كتابها

(7) İbni Batutta, İbni Batutta Seyahatnamesi, YKY Yayınları, 1. Baskı, Cilt:1, s.403,409,430.

(8) AşıkPaşazade, s.58-59.

(9) «Ahilik», Ziya Kazıcı, DİA, 1988, Cilt:1, s. 540-542.

«كنا نائمين وأيقظونا» (Uyur İdik Uyardılar) أن كلاً من شاه أده بالي والحاج بكتاش كانا خليفتين من خلفاء بابا إلياس الخراساني، وعددهم (60) خليفة. ولم يكن الحاج بكتاش والشيخ أده بالي في عصيان البابائية. فالشيخ أده بالي كان في طور العزلة في (Sulucakaraöyük)⁽¹⁰⁾ والحاج بكتاش لا نعرف بالضبط أين كان. ونحن نعرف أن الشيخ أده بالي منسوب إلى أبي الوفا البغدادي، أي إلى الطريقة الوفاية⁽¹¹⁾. أما ظهور القزلباش⁽¹²⁾ فقد كان بتأثير ظلم السلطان سليم الأول⁽¹³⁾.

على كل حال، فقد جاء الحاج بكتاش إلى صولجه قاره أيويوك (Sulucakaraöyük) بعدما رجع تزعم إحدى الآخيات النسائية الآخذة في الصعود ضمن التشكيلات الأخية. وقد عهد بقيادتها إلى فاطمة خاتون المعروفة باسم الخاتون الأم⁽¹⁴⁾. التي هي صاحبة الكرامة، وأعطى الخلافة إليها⁽¹⁵⁾. ويمثل هذا حلقة مهمة في تطور البكتاشية، لأن الخاتون الأم هي التي أدت أبدال موسى الذي كان ينشر تعظيم الحاج بكتاش بين الناس⁽¹⁶⁾.

يقول عاشق باشا زاده: الدراويش في بداية العصر العثماني كانوا موجودين في الحرب بالنفس والسلاح وكل شيء، هم ظفروا تحت قيادة عثمان بك وأوخان بك، وعلى إثر نجاحهم أعطى (عثمان بك) و(أورخان بك) و(آبدلان روم) وقفاً كبيراً، وهم -بدورهم- أسسوا على ذلك الوقف تكية كبيرة، ومن ثم فقد أثروا في الناس فمال الناس إليهم⁽¹⁷⁾. ساعد الدراويش الذين رأوا الحاج بكتاش، عثمان غازي (عثمان الأول ت 1326) في كل شيء واشتركوا معه في السفر والقتال، وقد بايعوا عثمان غازي منذ البداية، وتحدثت المصادر أن تلك العلاقة بالبابائية قديماً

(10) İrene Melikoff, Uyur İdik Uyardılar, Demos Yayınları, 4. Baskı, İstanbul, 2015, s.206-207.

(11) «Edebalı», M. Baha Tanman, DİA, 1994, cilt: 10, s. 394-395.

(12) ذو الرؤوس الحمراء.

(13) Melikoff, Uyur İdik..., s.209.

(14) Aşıkpaşazade, s.571.

(15) Aşıkpaşazade, s.571.

(16) Aşıkpaşazade, s571-572.

(17) İsmail, Hakkı Uzunçarşılı, Osmanlı Tarihi, Türk Tarih Kurumu Yayınları, Ankara, 1988, I.cilt, s.470

قد انتهت عندما سافر أبدال موسى مع عثمان غازي وجمع من الدراويش.

يستطرد عاشق باشا زاده، فيروي أن (أبدال موسى) في عهد أوركخان غازي كان في غرب بورصة، وقد سافر إلى الحرب مع أوركخان غازي⁽¹⁸⁾. إسماعيل حقي أوزونجارشيلي (İsmail Hakki Uzunçarşılı) يرى أن هذه الرواية صحيحة في التاريخ العثماني، بدليل ورودها في أثر متقدم في التاريخ العثماني، كأثر عاشق باشا زاده⁽¹⁹⁾. وفي رأي أحمد يشار أوجاق (Ahmet Yaşar Ocak) فإن تأثير البكتاشية في الدولة العثمانية بدأ مع أبدال موسى، الذي اعتبر الحاج بكتاش «بير» أي «الغوث». ومن ثم أخذ تعظيم الحاج بكتاش ينتشر مثل النار في الهشيم، على الرغم من أن أبدال موسى والحاج بكتاش لم يلتقيا أبداً. لكن السيدة فاطمة خاتون كانت قد أدبت أبدال موسى وحدثته عن مناقب الحاج بكتاش، وعن طريقها كون أبدال موسى فكرته عن الحاج بكتاش، ونشر هذه الروايات بين الناس، ثم رحل إلى مدن أخرى، وأسس زاويته تاركاً -من ثم- فكرة تعظيم الحاج بكتاش ولي تنتشر في أماكن واسعة⁽²⁰⁾.

بنى (أبدال) مراد تكية في عهد أوركخان غازي، ووقف قرية لتغطية نفقات التكية، ولكن لم نصل إلى المصادر التي تخبرنا شيئاً ذا قيمة تاريخية عن تكية أبدال مراد في القرن الرابع عشر، وصولاً إلى القرن الثامن عشر⁽²¹⁾، لكن بحسب أوليا جلبي، فإن تكية أوركخان غازي هذه كانت تكية للبكتاشية⁽²²⁾. فقد جاء بيكلي بابا في عهد أوركخان غازي إلى مدينة «هوي» المجاورة لأذربيجان واستقر مع دراويشه بجوار إينجول⁽²³⁾. عاشق باشا زاده يحكي لنا في أثره الحوار الذي حصل بين بيكلي بابا وأوركخان غازي، ويجري هذا الحوار كما يلي:

(18) Aşıkpaşazade, s.298-299.

(19) Uzunçarşılı, I.cilt, s.470.

(20) Ahmet, Yaşar Ocak, Osmanlı İmparatorluğunda Marjinal Sufilik Kalenderiler, Türk Tarih Kurumu Yayınları, Ankara, 1992, s.210-211. İrene Melikoff, Efsaneden Gerçeğe Hacı Bektaş, Cumhuriyet Kitapları, 7. Baskı, İstanbul, 2010, s.216-217.

(21) Abdal, Murad», Orhan F. Köprülü, DİA, 1988, cilt: 1, sayfa: 63-64.

(22) Evliya, Çelebi, Seyahatname, II. Kitap, Yapı Kredi Yayınları, 1.Baskı, İstanbul,1998, s.14.

(23) «Geyikli Baba», Ahmet Yaşar Ocak, DİA, cilt: 14, 1996, sayfa: 45-47.

جاء أورخان غازي إلى بورصة وبني عمارة أولاً، وفتش عن الدراويش في تلك الناحية، وجاء عدد كبير من الدراويش من كيشيشتا إلى إيناجول، استقروا هناك. لكن أحد الدراويش اعتزل الدراويش الآخرين ويدعى جاييك بابا (صاحب الأيل)؛ وسمع أورخان غازي من الدراويش الذين كانوا دوماً معه ويدافع عنهم يقول: إذا سمع هذا الحال في قراري التي تتبع لي كثير من الدراويش يعيشون هنا، وواحد منهم رجل مبارك.

لما سمع أورخان غازي هذا الخبر قال: سألتوا من هو هذا الرجل، اذهبوا بسرعة واسألوا عنه، بعدما سألتوا الدراويش قال: أنا من مريدي إلياس بابا والسيد أبو الوفا، ووصل الخبر إلى أورخان غازي، فأمر وقال: اذهبوا وأحضروا هذا الدراويش هنا، فدعوه لكنه أبى وقال: أخبروا الملك ألا يأتي، فقالوا لأورخان ما قاله لهم الدراويش. واستغرب أورخان غازي وقال: لماذا لم يأت، ولم يقبل أن أذهب أنا إليه؟ فأرسل رجلاً ثانياً، فقال الدراويش: هؤلاء الدراويش ينظرون إلى الناس نظر الرحمة والحفظ، مع ذلك هم يذهبون في وقت قبول الدعاء، بعد يوم أخذ بذرة لشجرة الحور ثم ذهب إلى قلاع بورصة، ثم دخل باب القلعة وزرعها هناك. بعدها ذهب إلى الملك، فقبل له: جاء الدراويش، هو عند شجرة الحور يزرع عند الباب. فخرج أورخان غازي فرآه يزرع الشجرة، فابتدر الدراويش أورخان غازي قائلاً: ما دامت بركاتنا عليك ستبقى على مكانتك؛ لأن دعاء الدراويش لك ولنسلك مقبول عند الله. ثم دعا ورجع إلى مكانه. فقال أورخان غازي للدراويش: لك إيناجول وجوارها، قال الدراويش: هذا الملك مال، والملك لله، يعطيه من يشاء. ونحن لسنا من أهل المال والملك. قال أورخان غازي: من أهل هذا المال والملك؟ أجاب الدراويش: إن الله سبحانه وتعالى أعطى أمانة هذا الملك للملوك، وأعطى المال للأمرء وأصحاب التجارة. نحن نعيش دون أن نخاف من الغد، وقد أعطى لنا رزقاً جديداً كل يوم. وعلى ذلك قال أورخان غازي: ما الذي يحدث إذا قبلت كلامي؟! ثم نظر الدراويش إلى مكان أورخان غازي، وقال: هذا المكان يكفي لجلوسنا نحن الدراويش، فقبل أورخان غازي هذا الكلام وقبل الدعاء من الدراويش، ورجع إلى مكانه مرة أخرى، وبني جامعاً وتكية، وقبة، وهناك على قبر هذا الدراويش الآن في يومنا هذا، وهو مفتوح للعبادة خمسة أوقات، والناس يدعون

للملوك ويذكرون اسم تكية جاييكي بابا⁽²⁴⁾.

يقول عاشق باشا زاده بعد هذه الحكاية: بنى التكية جاييكي بابا في زمن أورخان غازي، واهتم ملوك العثمانيين بالبتكاشيين⁽²⁵⁾، وكرر أوليا جلبي مثل هذا الادعاء في الحديث عن تكية البكتاشي⁽²⁶⁾.

التشكيلات الإنكشارية والإعداد المعنوي للبتكاشية

قامت العلاقة بين الدولة العثمانية والبتكاشيين على أن يتحملوا تأسيس الإنكشارية، ومنح التربية المعنوية للبتكاشية مسألة ليست سطحية أبداً، كما يرى البعض، بل مهمة وعميقة جداً أيضاً. وكلنا نعرف أن هذا الارتباط عندما أُلغيت الإنكشارية أُلغيت البكتاشية في الوقت ذاته وكأنهما شيء واحد، نحن لا نعرف متى تأسست الإنكشارية، ولكن إذا بحثنا وجدنا أن الإنكشارية في عهد أورخان غازي كانت مجرد إرهابات، ومراد الأول كرس وجود هذا الأوجاق (القطاع العسكري) فعلياً، وارتبط جنود الإنكشارية بدرأويش البكتاشية. ويروي عاشق باشا زاده في هذه المسألة أن في رأس جنود الإنكشارية عمامة تشبه التاج الألفي للبتكاشية، عاشق باشا زاده يقول: إن أبدال موسى وهو بين الإنكشارية وقعت حادثة في عهد أورخان غازي، في سفر من الأسفار التقى جنود الإنكشارية بأبدال موسى الذي أراد من الإنكشارية عمامة أو غطاء للرأس، فأخرج الإنكشاري العمامة وأعطاه أبدال موسى، وعندما عاد أبدال موسى من السفر رأى الناس تلك العمامة فسألوه ما هذا في رأسك؟ قال أبدال موسى: يقولون هذا ألف⁽²⁷⁾.

إذا تأملنا ما ورد من معلومات في كتاب عاشق باشا زاده، سنفهم منه أن الإنكشارية ظهرها في زمن أورخان غازي، ولكن ترى إيرينا بتروسيان في مقالة لها حول تأسيس الدولة العثمانية وأصل الإنكشارية أنه في عهد أورخان غازي أخذ

(24) Aşıkpaşazade, s.105-106.

(25) Aşıkpaşazade, 293.

(26) Evliya Çelebi, Cilt 2, s. 14.

(27) Aşıkpaşazade, s.571.

الإنكشارية من الشباب المسيحيين إلى الجيش ومنحهم يوماً أقمه (دينار)⁽²⁸⁾. ولم نعلم من خلال المصادر كيف أعد هؤلاء الغلمان من الجهة المعنوية، فهم مسلمون جدد على كل حال، وعلى كل حال بدأت الفكرة في عهد أورخان، بيد أن التنفيذ كان في عهد مراد الأول.

كما عبر عاشق باشا زاده في تاريخه عن تكوّن الإنكشارية من الشباب الذين أسروا في الحرب في عهد مراد الأول؛ هؤلاء الشباب منحوا لعائلات تركية لمدة ليتعلموا اللغة التركية، بعدها يأخذونهم إلى العسكر ثم ينظمونهم في الجيش. عرفوا أولاً باسم «أزال تشري» ثم تغير هذا الاسم إلى «يني تشري» وألبسوا العمامة وتأسس عسكر الإنكشارية⁽²⁹⁾. ومنح التعليم المعنوي إلى البكتاشية في الجيش العثماني للدعاة والدرأويش الغازية. يرى إسماعيل حقي أن تقاليد الأتراك في هذا الزمن اعتبرت أن لكل صنف من الناس صاحباً أو «بيرا» (غوث)، وقد ارتبطت الإنكشارية بالذات ببيهرهم أو شيخهم الحاج بكتاش ولي⁽³⁰⁾. علاقة البكتاشية والإنكشارية - في رأي إسماعيل حقي - تمتثلت في قراءة البكتاشية إذا بدأت الحرب كتاب «جولبانك»⁽³¹⁾.

ينقل لنا إسماعيل حقي إوزون في كتابه «قوانين الإنكشارية» إنه في تأسيس تشكيلات الإنكشارية أخذوا الدعاء من الحاج بكتاش باشا، وحفيد الحاج بكتاش، أمير شاه من نسل مولانا. وينقلون منهم كذا في أثره في بحث عن الإنكشارية، هم يربطون على أركان الحاج بكتاش، ويتعلمون على هذا الأساس، وبسبب ذلك أطلق عليهم لاحقاً «أوجاق البكتاشية»، يرأسهم أغا الإنكشارية ويسمون صناديد البكتاشية أو دودمان رجال البكتاشية⁽³²⁾. وبسبب الإنكشارية ازداد اهتمام الدولة العثمانية بالحاج بكتاش ولي وبالبيكتاشيين.

(28) Irina Ye. Petrosyan, Osmanlı Devleti'nin Kuruluşu ve Yeniçerilerin Kökeni, Türkler Ansiklopedisi, Cilt 10, Yeni Türkiye Yayınları, Ankara, 2002, s.242-243.

(29) Aşıkpaşazade, s.115.

(30) Uzunçarşılı, s. 449.

(31) Uzunçarşılı, Cilt 1, s.509.

(32) Uzunçarşılı, Cilt:1, s.149.

تأسيس تكية السيد «علي سلطان/ كيزلدالي ولي» في عهد بايزيد الأول

بنيت تكية السيد علي سلطان (1401-1402) الملقب بكيزلدالي في المكان الذي يقع في يومنا هذا تحت السيادة اليونانية ويدعى (Dimetoka)⁽³³⁾، ومن ثم فإن السيد علي سلطان كيزلدالي شخصية محورية مهمة في سياق انتشار البكتاشية في البلقان، فبعض الباحثين اشتغلوا بكتاب السيد «علي سلطان» وكتاب ولايته (Seyyid Ali Sultan ve Velayetnamesi) وعلى كل، هو يزعم أن في سنة 1568 في دفتر تحرير مفصل العثماني صورة منه للورقة أتت بعض المعلومات عن السيد علي سلطان في زمن بايزيد الأول (ت 1403)، الذي وقف عليه قرى (Daribükü Tırfulluviran. ve Büyükviran) وتشير هذه الورقة -أيضاً- إلى أن ملوك بني عثمان يهتمون ويحترمون الدراويش الذين ينسبهم البعض إلى البكتاشيين، وفي رأيهم هم أشخاص معظمون ولهم أهمية كبرى⁽³⁴⁾.

على كل حال، نعرف أن السيد علي سلطان جاء من خراسان بعد أن رأى في منامه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأمره بالتوجه إلى البلقان، ثم خرج من بلده ليساعد السلطان بايزيد الأول رابع سلاطين بني عثمان في فتح البلقان. السيد علي سلطان (كيزلدالي ولي) أخذ في معيته أربعين درويشاً، وزار أولاً الحاج بكتاش ثم ذهب إلى طريق روملي -على زعم الرؤية- ينتظر بايزيد وفقاً لكتاب (ولي عهد نامه)، وأخيراً قابل يلدريم بايزيد السيد علي سلطان مقابلة لطيفة وتعظيمية؛ لأنه رآه -أيضاً- بدوره في حلم له⁽³⁵⁾.

في ولاية السيد علي سلطان في نسخة القاهرة، فإن السيد علي سلطان جاء إلى الأناضول في زمن أورخان بك⁽³⁶⁾ وكان مع أورخان بك وسليمان باشا في فتح

(33) Rıza, Yıldırım, Seyyid Ali Sultan ve Velayetnamesi, Türk Tarih Kurumu Yayınları, Ankara, 2007, s.150.

(34) Yıldırım, Seyyid Ali..., s.151.

(35) Yıldırım, s.161-163.

(36) «Seyyid Ali Sultan», Haşim Şahin, DİA, 2009, Cilt:37, s.48-50.

جاليبولي سنة 1356 وبعده في فتح (Dimetoka) وفتح إدرنة⁽³⁷⁾. هذه المعلومات تشير إلى أن السيد علي سلطان جاء إلى الأناضول في عهد أورخان غازي، وهذا من الوجهة التاريخية ممكن؛ حيث إنه عاصر أورخان غازي والسلطان بايزيد الأول.

بالم سلطان وتنظيم البكتاشية

بالم سلطان شخص مهم في أفكار البكتاشية، فهو الذي نظم الطريقة البكتاشية، والمسألة المهمة في العلاقة بين البكتاشية والدولة العثمانية، أن الدولة العثمانية عينت رئيس التكية بالم سلطان تعييناً ليكون شيخ مشايخ الطريقة. تبحث إيرينا ميليكوف في كتاب (Efsaneden Gerçeğe Hacı Bektaş) في أسطورة بالم سلطان، وتقول: إن المعلومات قليلة عن هذا الرجل، كما أن أغلبها ليس حقيقياً، بل من الأساطير، ولكن من خلال تلك الأسطورة، فإن أم بالم سلطان بنت ملك بلغاريا الذي نسج سجادة وعلقها على الجدار، وقال للناس من صلى على تلك السجادة أزوجه ابنتي، واتفق أن زار سيد علي سلطان بيت (مرسل بابا)، وصلى على السجادة، فأخذت البنت السجادة فسقطا على الأرض (مرسل وبالم)، فغرف لها سيد علي سلطان غرفة من العسل بإصبعه فلعلقتها وحملت بغلام أعطته اسم العسل (بال باللغة التركية) فلما وصل سنه إلى الثامنة عشرة أخذه السيد علي سلطان إلى تكيته⁽³⁸⁾. رواية أخرى تقول: إن هذا الولد تبناه مرسل بابا، فعند البكتاشية يفرقون بين الأبوة الصلبية والأبوة المعنوية⁽³⁹⁾، في بداية القرن السادس عشر وقعت الحرب بين الصفويين والعثمانيين، ورغبت الدولة في إحكام سيطرتها على البكتاشية، فعين بايزيد الثاني بالم سلطان (post-nişin) شيخاً على مشايخ تكية الحاج بكتاش⁽⁴⁰⁾، ومن الملاحظ أنه أرسله من (Dimetoka) سنة 1501 إلى مدينة الحاج بكتاش. وكان هذا مؤشراً لافتراق القزلباش عن البكتاشية، فبعض الناس اعتقدوا بهذا الإجراء أن بايزيد الثاني يميل إلى البكتاشية، وقوى هذا الظن أن السلطان ولد في

(37) Melikoff, Efsaneden..., s.218.

(38) Melikoff, Efsaneden..., s.219.

(39) Melikoff, s.219.

(40) Melikoff, Efsaneden..., s.220. «Balım Sultan», Ahmet Yaşar Ocak, DiA, 1992, cilt: 5, s.18.

المدينة نفسها (Dimetoka) بل عاش وترى معه، ومن ثم فقد أحب البكتاشيين ومال إليهم⁽⁴¹⁾.

السبب في هذا التعيين كان كبح جماح الخطر الشيعي، فقد أرسل بايزيد، بالم سلطان، من ديموتوكا إلى مقام الحاج بكتاش ليوقف هذا الخطر. في زمن الصفويين، لأن البكتاشية كانوا أكثر ميلاً إلى الصفويين⁽⁴²⁾ بعد هذا الإجراء، مال بعض البكتاشيين مال إلى العثمانيين، وبعضهم إلى الصفويين، ومن ثم وجد القزلباش إلى جانب البكتاشية.

تعيين بالم سلطان كرئيس لتكية الحاج بكتاش قوى علاقات الدولة العثمانية والبكتاشيين على الصعيد الرسمي، إذ إن بالم سلطان بدأ طريقاً جديداً للطريقة البكتاشية فبنى تكايا وزوايا كثيرة في الأناضول ورومليا، ونظم الطريقة على أسس جديدة فانتشرت الطريقة البكتاشية، فأينما وجد مكاناً به أناس يعيشون بنى فيه تكية للبكتاشية. وعلى الرغم من العلاقة الوثيقة بين البكتاشية والدولة العثمانية السنية، فإن البكتاشيين -كمثل القزلباش- تنامى اعتقادهم في الأئمة الاثني عشر، والمعتقدات القلندرية والحروفية، والاعتقاد في التجرد موجود أيضاً (والتالوث: الحق، محمد، علي) ولهذا أطلق البكتاشية على بالم سلطان لقب البير الثاني⁽⁴³⁾.

تأثير البكتاشيين على العثمانيين... الثقافة والاجتماع

زاد انتشار التصوف في الأناضول بسبب ميل المجتمع إليه، وهذا أمر ملاحظ في العصر العثماني، ولكن تأثيرهم أخذ يزداد في القرن الرابع عشر. فعثمان بك وأورخان بك دعما الدراويش والأبدال ووفرا لهم الحماية، وأرسلوهم إلى القرى والأماكن المختلفة، وأبعدوهم عن المراكز وأرسلوهم إلى النواحي القاصية والنائية الأخرى التي كان يعيش فيها الأتراك الرحل، ليؤثروا عليهم اجتماعياً ودينياً، ومن ثم فقد أسلمت القبائل التركمانية وانتشر التصوف بينهم سريعاً.

(41) «Balim Sultan», DiA, s.18.

(42) «Balim Sultan», DiA, s.18.

(43) Melikoff, Efsaneden..., s.220-223.

في البداية حط الدراويش في المدن والقرى كلها. يذهب الدراويش والأبدال بالقيم والمثل والناس يتعلمون منهم، ثم يأتي العثمانيون بالعسكر فتقبل تلك القبائل بسلطة الدولة، وهو ما يشير إلى أن الدراويش قاموا بالفتح المعنوي لتلك الأماكن. أما المسيحيون، فقد وعوا هذه الحال ومالوا إلى العثمانيين بسبب عدالتهم، فمفهوم الناس قد تكون عن طريق هؤلاء الدراويش⁽⁴⁴⁾. فإذا فتح المكان شُيدت على الفور تكية أو زاوية، ثم هاجر الأتراك إليها، وهم يهتمون بالناس من جهة الثقافة والتعليم، بل الاحتياجات المعنوية، فمال الناس إليهم دون أن يعتنقوا ديانتهم بالضرورة، وقد ارتبطوا ثقافياً بالتكية مع العمل بالزراعة أو الصناعة، وبعده عاشوا في مستوى اقتصادي جيد، فساد الرخاء لأن الدولة منحتهم الأمان، فلم يعد باستطاعة زعماء العشائر الإغارة على القرى والمدن، والقيام بعمليات السلب والنهب المنظمة، التي كانت تحدث دائماً في عصر الزعماء المحليين⁽⁴⁵⁾.

استولى العثمانيون بالفتح على الأراضي الجديدة، وأسسوا تجمعات لإسكان الناس الذين يعيشون في الأناضول، فأعطوهم المكان ليسكنوا هناك في البلقان، حيث زرعوا وربوا الحيوان مما أسهم في ارتفاع مستوى الرفاهية وزيادة دخل السُّكان والدولة، ولكن أصول تلك الأماكن ترتبط بالدراويش الذين سبقوهم إلى تلك البقاع. ومع الوقت كانت الدولة تكرر هذا النمط. فالدولة العثمانية تغدق على الدراويش بوقف الأراضي عليهم وفق خطة ممنهجة. فيأخذ الدراويش تلك الأراضي من الدولة ويعطون الناس، كل وفق حاجته، فيبنون التكايا والزوايا للمستوطنين، والفنادق للغرباء، ويعطون الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والأيتام الطعام والملبس، ويبنون البيوت ليسكنوا فيها⁽⁴⁶⁾. وكان العمال الذين يعملون في التكية يؤدون نوعاً من الخدمة العامة في العمل بالتكية، بجهة الصناعة أو غيرها، وهكذا كانت التكية محور المجتمع، فهي تغطي الاحتياجات المادية والثقافية والروحية.

(44) Barkan, Kolonizatör..., s. 283-284.

(45) Yıldırım, Seyyid Ali..., s.127-128.

(46) Yıldırım, Seyyid Ali..., s. 131.

يتحدث أوليا جلبي عن عدد من التكايا كمثل: تكية جايكلي بابا، تكية أبدال مراد، وتكية أبدال موسى، بقوله: في كل مكان نحن نقابل تكية للبكتاشية، ولكن لا أحد يعرف بالضبط من بناها ولماذا؟ مثيراً بذلك التساؤل: هل جاء هؤلاء الدراويش فعلياً إلى تلك البقاع أم ماذا؟ من خلال بعض المعلومات التي وفرها لنا أوليا جلبي، نعرف أن بعض التكايا في زمن عثمان بك كانت تمنح النقود من قبل الدولة، وبعضها كانت تمنح النقود ورؤوس الماشية والأشخاص المتعلمين لتأكيد قوة التكية. أوليا جلبي يشير إلى تلك الناحية الثقافية وعلاقتها بالحياة الاجتماعية، ومدى تأثير التكايا البكتاشية في تلك النواحي، وخير مثال لهذا حديثه عن تكية أبدال موسى كنموذج من سياحت نامه:

«Tekye-i Abdâl Murâd Sultân: Bursa'ya havâle çemenzâr ve hıyâbân-ı kûyâh, bir teferrücgâh [u] mesîregâh, âsîâne-i Âl-i Abâ, ya'nî tekye-i BektâGiyândır. Pâbürehne ve ser-bürehne, zeber-dest, tüvânâ, aÇk-ı Ğlâhî ile ciğeri büryân, sînesi sûzân olmuÇ cânlar vardır kim teferrüce varan cânlara dil u cân ile rû-mâlîde edüp hizmet ederler. Bu tekyeyi Orhân Gâzî binâ etmiÇdir. Binden mütecâviz sahan ve tencere ve kazgân-ı bakır âvânî vakfı vardır. Cümle [226a] ehl-i ziyâret anda sohbet edüp ibâdet ederler⁽⁴⁷⁾».

«تكية سلطان أبدال مراد» تكية من تكايا البكتاشية، شيدت في بورصة وسط الظلال، تحتوي على استراحات وكذلك طريق للمشاة اسمه «علي أبا». ثمة بعض الغلمان مكرسون لخدمة التكية، ويغشى التكية بعض العلويين «جان»، وهم لا ينتعلون أحذية، كما لا يضعون شيئاً على رؤوسهم، ومع ذلك هم أقوياء جداً وشجعان أيضاً. ولكن قلوبهم متأثرة بالعشق، وكبدهم يتفتت به، وصدورهم تحترق مثل اللحم المشوي. وهم يخدمون هؤلاء العلويين بإخلاص نادر. بنى هذه التكية أورخان غازي، «وهناك طبق واسع جداً وقدر كبير من النحاس، ويطبخون للفقراء ويتكلمون مع الناس ويتعبدون حيث هناك كل شيء».

(47) Eviya Çelebi, cilt 2, s.14.

هناك في «سياحت نامه» معلومات مفصلة حول تكية كويون بابا، وتكية أبدال موسى، وتكية سيد بطال غازي، وهي من تكايا البكتاشية، بناها الدراويش الذين ذهبوا للفتح، كذا روى أوليا جلبي في «سياحت نامه».